ملامح التاريخ الثقافي للجزائر
في العهد العثماني

أ . بحري أحمد *

إن الوضع الثقافي لأي بلد، يأخذ صبغته وشكله من خلال الوضع الاجتماعي والسياسي العام، والجزائر كغيرها من الدول العربية الإسلامية؛ تأخذ مشروعها الثقافي من الأسس الثقافية للحضارة الإسلامية السائدة آنذاك، ومن الطبيعي أنه في حالة ما إذا وقع ضعف أو خلل من السلطات المركزية، في تبني هذه المشاريع لأيّ سبب من الأسباب؛ فإن الجماعات المحلية هي التي تتبنّى قضاياها الثقافية بنفسها منهجيا وماديا .

ولما كان النّظام العثماني متّجها إلى جهاد البحر ، لصدّ الهجمات المسيحية المستمرة على سواحل المغرب الإسلامي، ثم إلى النظامين الإداري والمالي؛ فإنه أهمل قضايا الثقافة لفترات طويلة، فتسبب ذلك في تقلص المعارف ونزول مستواها، لأنّ من عيوب الثقافات التي تتبناها الشعوب، في فترة غفلة الدولة عن المجال الثقافي، هو اللجوء إلى التقليد والجمود والابتعاد عن الاجتهاد وكل ما له

* كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

علاقة بالعلوم العقلية، وتخزين المعارف الموروثة دون اكتراث بالبحث والنقد والتحليل[1] .

وها هو الورتلاني في رحلته، يتحدث عن العلوم التي كانت تدرس في الجزائر، والتي لم تكن تتعدى الفقه وعلم الكلام، أما غيرهما فليس له أهمية؛ فيقول:"... غير أن أهل وطننا لا يشتغلون بالإعراب أتم اشتغال، وإنما دأبهم بالفقه وأصول الكلام، وإنما مسائل الإعراب والمنطق والتصريف والبيان والأصول فعلى طرف اللثام "[2] .

غير أن بعض الباحثين والملاحظين الغربيين، وخاصة السياسيين الذين زاروا الأيالة آنذاك؛ يتعرّضون إلى الجوانب الثقافية الضعيفة، مثل العلوم الطبية والرياضيات والفلك وغيرها، فيلاحظون انعدامها أو ضعفها، ويسارعون إلى مقارنتها بنظيرتها الغربية، ثم يخلصون إلى نتيجة مفادها: أن المجتمع الجزائري يرفض كل ما هو علم مستحدث وينظر إليه على أنّه من التفاهات التي يختص بها الأوربيون[3].

فما مدى صدق هذه الملاحظات ؟ وما هي الأوضاع الحقيقية للثقافة والعلوم بالجزائر في الحقبة العثمانية؟

وضع العلوم:

إن الحديث عن الوضع العلمي في الجزائر، أثناء وقبيل التواجد العثماني ، يقودنا إلى التركيز على أهم الحواضر ومراكز الإشعاع العلمي والحضاري، وهي مدينة تلمسان في الغرب الجزائري، ومدينة بجاية، ومدينة قسنطينة في الشرق.

لقد كانت هذه المراكز مقارنة مع الوضع العام للبلاد؛ تعد أهم مراكز توارث العلم، وازدهرت بها المعرفة، كما اشتهرت بها أسر علمية .

وكذلك الشأن بالنسبة لمدن أخرى مثل الجزائر، بسكرة، وهران، لكن هذه كانت أقل مستوى من سابقاتها .

أما الريف الجزائري؛ فكان يرسف في أغلال الجهل، وكان حظه من العلم قليلا جدا، وحتى أبناؤه من الطلبة الذين يسافرون إلى هذه الحواضر طلبا للعلم، فإنهم سرعان ما يستقرّون بها ولا يعودون إلى قراهم بعد اكتمال تعلمهم، ما جعل الرحالة حسن الوزان يصف هذه الأرياف حين المرور بها قائلا :" لا يوجد بين السكان من يملك قليلا أو كثيرا من العلم، لدرجة أن أي أجنبي يمر ببلدتهم، ويكون على جانب من العلم، يتشبثون ببقائه لديهم، ويحيطونه بمظاهر الاحترام والإجلال، يلجؤون إليه لتسوية نزاعاتهم، ويتّخذون منه مستشارا يطلبون إليه الرأي لحل خلافاتهم "[4].

لكن هذا الوضع لم يبق على ما هو عليه، فقد ظهرت بدخول العثمانيين إلى الجزائر حركة جديدة، تعدت مراكز الاشعاع سابقة الذكر، وانطلقت إلى الريف بجباله وسهوله، وكذا الصحاري، وانتشرت الزوايا العلمية، كما تحوّلت الزوايا الدينية القديمة إلى احتضان التعليم، بعدما كانت تقتصر على الإطعام وإيواء عابري السبيل.

وقد ساهم في هذه النقلة النوعية؛ نزوح علماء الأندلس إلى الجزائر، فارّين من بطش الكنيسة في بلادهم، يرافقهم اعتقادهم بأن ما أصابهم بالأندلس؛ مرده

إلى الابتعاد عن الدين، فأرادوا تدارك ما فاتهم، فأخذ بعضهم يجوب البلاد لاستنهاض الهمم والحث على الجهاد، والعودة إلى الدين وعلومه [5].

غير أن اهتمام السلطة الحاكمة بعد ذلك بهذا الجانب انعدم، وخاصة بمجيء الدايات، مما جعل عملية التعليم تصعب على طالبيها والمتكفلين بها، وهو ما يلاحظه الورثلاني في رحلته، فبعدما يذكر المدارس الحكومية في تونس، ويثني عليها حتى نوى الإقامة بها وذلك :"...رغبة في نشر العلم وبثه، لكثرة الآخذين فيها، مع عدم الكلفة للطلبة الآخذين، بخلاف وطننا؛ فإنه لابد من كلفة الطلبة والإقامة بمؤنتهم، وإلا انقطع مادة العلم"[6] .

وتسبب ذلك في هجرة الكثير من الطلبة والعلماء الجزائريين، إلى تونس ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية، طلبا للعلم، ويذكر الورثلاني في رحلته عددا من العلماء المهاجرين من الجزائر إلى تونس ومصر، والذين التقى بهم خلال هذه الرحلة [7]، ومنهم أحمد بن عمار مفتي الجزائر، وأحمد بن حمود، والصالح القصاري، وأحمد الصديق الجزائري، والشيخ عبد الله بن رحاب من أولاد دراج، وهو صهر الرحالة، وعبد العزيز عم الورثلاني، وقاضي مدينة المدية الشيخ ابن نوة وغيرهم [8].

والجدير بالذكر؛ أن العلوم المتداولة في الجزائر آنذاك، سواء انتشرت أم قلّت، لم تكن تتعدّى – كما سبق الذكر – النقلية منها، أي الدينية أو الشرعية مع بعض ما تدعوا الحاجة إلى إضافته إليها، كعلوم اللغة كونها أداة، وبعض المنطق للاستدلال في علوم العقيدة ومقارعة الخصوم ، أما العلوم العقلية فتكاد تنعدم .

والعلوم الشرعية التي كانت تدرس هي القرآن وما يلازمه؛ من علوم كالتفسير والقراءات وغيرها، وعلوم الحديث، وفقه العبادات والمعاملات .

ولإن كان الإنتاج العلمي في الشرعيات غزيرا؛ فإن جانب الإبداع والجدة فيه كان معدوما، بل إن كل محاولة للخروج عن طوق التقليد وتقديس الموروث؛ كان يعتبر مغامرة كثيرا ما حملت أصحابها إلى الموت المؤكد، وكثيرا ما استعملت هذه القضية لأغراض سياسية، أو للتخلص من الخصوم، فقد ذكر الورثلاني الصراع الشديد الذي قام بين الشيخ عبد القادر الراشدي وعلماء قسنطينة؛ فقال:" وقد وقعت بينه وبين طلبة قسنطينة مخاصمة عظيمة ومنازعة كبيرة، حتى رموه بالتجسيم[9]، بل بعضهم كفّره، ومن الإسلام أخرجه، وذلك أمر عظيم في الدين ... وإنما هو تحامل عليه، سببه الحسد والبغض والتنافس، أو إنما رموه بذلك لما علموا منه من كونه طويل اللسان عليهم بالعلم، بل وقد نسبوا له كثرة الرشوة وغير ذلك مما لا يناسبه...إلى أن أرادوا الفتك به عند السلطان، فسلم – والحمد لله – ونجا من شرّهم، غير أنهم أخرجوه عن الموضع المعدّ له من القضاء ، وصيّروه لأنفسهم ..."[10].

وظاهرة التقليد هذه؛ جعلت الإنتاج العلمي يختلف من علم لآخر، فالعلوم التي تعتمد على الحفظ، كان إنتاجها غزيرا .

أمّا العلوم التي تحتاج إلى سعة أفق، واطلاع ثقافي واسع، واستقلال عقلي كبير مثل التفسير؛ فقد ندر فيها الإنتاج، ومع ذلك فقد اشتهر مجموعة من

العلماء في ذلك العصر بالتفسير، مثل عبد القادر الراشدي القسنطيني، ومحمد الزجاي وشيخه ابن لؤلؤ .

ويذكر ابن ميمون أن القاضي أبو علي حسين، وكان من قضاة الداي محمد بكداش، قد نبغ في التفسير؛ فيقول :"...قيوم البيان، ورئيس علوم اللسان، وعلاّمة تفسير القرآن..."[11].

بيد أن هؤلاء العلماء وغيرهم، لم تكن إنجازاتهم في التفسير غير مجموعة من الشروح لتفاسير سابقيهم، أو زيادة في تبسيطها، وأغلبهم اشتهر بتدريس التفسير، وليس بالتأليف فيه، فلا نكاد نعثر على واحد من تآليفهم، فقد ذكر ابن ميمون الفقيهَ مصطفى ابن عبد الله البوني، وقال بأنه كان يدرس في حلقته عبد الرحمن الثعالبي[12]

وحتى الذين اشتهروا بالتأليف كأبي راس الناصري؛ فإن تآليفهم لم تتعدّ كونها نقولات عن شيوخ سبقوهم، إما مشافهة أو من تقاييدهم، فقد وصف الناصري كتابه بأنه ينقسم إلى ثلاثة أسفار، في كل سفر عشرون حزبا .

أما عن مضمونه فيقول :"...طالما تكلمت فيه نقلا من كتاب شيخ أو فيه مع الزمخشري والبيضاوي، وابن عطية وغيرهم، فيا لها من عطية، وتقييد على الخراز والدرر اللوامع والطراز... " [13] .

ويذكر أبو القاسم سعد الله مجموعة أخرى من العلماء، الذين اهتموا بعلم التفسير إما تدريسا أو تأليفا؛ إلا أنه يؤيد الرأي الذي سبق الحديث عنه، من أن

أغلبهم لم يبدعوا وأن تآليفهم اتسمت بالبساطة، وغلبت عليها العامية مجاراة لطبيعة المجتمع[14] .

أما الحديث وعلومه، فقد كان خيرا من سابقه، ذلك أن الجزائريين اشتهروا بقوة الحفظ، وقد سبق الحديث عن اعتنائهم برواية البخاري، واقتران روايتها بأغلب الاحتفالات الدينية، وكذا حين تتعرض البلاد لهجمات الأعداء .

وقد لمع في سماء الجزائر عدد من العلماء الذين يحفظون الصحاح عن ظهر قلب، مع حفظ المتون الطوال في علم مصطلح الحديث، حتى أصبح الحفظ هو الفاصل بين العلماء وميزان السبق بينهم، وأساس الاحترام والتقدير، وأصبح طلب الإجازة من الحفاظ والسفر في طلبها ديدن الطلاب في ذلك العهد .

وقد تحدث ابن حمادوش عن هذه الإجازات كثيرا، وسجّل معظمها في رحلته، لأنها كانت دليلا على قدر العالم ومبلغه من العلم، أوشهادتهم العلمية في ذلك الزمان، وكانت الإجازات في علوم الحديث يتصل فيها سند العلماء إلى أصحاب الصِّحاح، ومنهم إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – دلالة على صحة مروياتهم.

ويعدّد ابن حمادوش – في رحلته – شيوخ الورززي، واتصال السند بين الورززي والنبي – عليه الصلاة والسلام –، ليوضح قيمة الإجازة التي حصل عليها منه، ثم يعرض هذه الإجازة، التي جاء فيها :"...فأسمعته بعض موطأ مالك بن أنس – رضي الله عنه – من رواية يحي بن يحي الليثي، وأجزته سائره، وأسمعته بعض صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، وأجزته سائره، ورغّبني – أيضا – أن

أجيزه في كل ما صحّت لي روايته من مسموع ومجاز فأسعفته، فأجزته أن يروي عنّي الكتب الستة ... وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل، وهذه سمعتها كلها من شيوخنا – رحمنا الله وإياهم – ..."[15] .

والجدير بالذكر، أن العلوم الحربية وحدها من بين العلوم العقلية؛ حضيت بالاهتمام لعلاقتها بالجهاد، ميدان العثمانيين المفضل، ومنها ما كتبه الرايس ابراهيم بن زكريا الأندلسي حول المدافع وفنون صنعها واستخدامها [16].

المؤسسات التعليمية:

لقد رأينا في بداية المقال وضعية العلوم في البدو والحضر، وما هي الظروف التي دخلت في هذا التوزيع. لكن أمورا تدخلت وغيّرت هذه الوضعية، فحدث توازن نوعي بين الريف والمدينة، ورأينا كذلك نوعية العلوم المدروسة. فما هي مراكز التدريس في هذا العهد؟

أولا : مدرسة مازونة الفقهية .

اشتهرت مدينة مازونة التاريخية العريقة، منذ أقدم العصور التاريخية، بمدرستها الدينية المختصة في العلوم والمعارف والدراسات الفقهية المختلفة، كالفقه وأصوله والفرائض، وعلم التوحيد وعلم الحديث، وعلم اللغة العربية، من نحو وصرف وعلم البلاغة، وغيرها من العلوم.

وقد عرفت بكثرة مجالسها، ونجابة طلاّبها، وقريحة شيوخها وعلمائها الأجلاء. حيث تشير المصادر التاريخية، وجميع الوثائق التاريخية[17] التي أرّخت لهذه

المدينة؛ أن تاريخ تأسيس مدرسة مازونة الفقهية كان في سنة 1029هـ، على يد الشيخ العلامة الفقيه : (امحمد ابن الشارف، بن أحمد بن علي، ابن عبد العزيز بن علي، ابن منصور بن محمد بن اعمر البلداوي ، بن محمد بن عبد الله بن موسى بن مسعود بن الحسن بن سليمان بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وقد أسسها وأقامها من ماله الخاص، ودرّس بها حوالي 64 سنة، إلى أن توفته المنية سنة 1164هـ، وقبره معروف وموجود بها، عليه قبة تسمى باسمه : " قبة ابن الشارف " [18] .

تتكون هذه المدرسة من مسجد جامع للصلاة المفروضة، ومكتبة كبيرة فيها مختلف المصادر الفقيهة والأدبية ... إضافة إلى بعض المرافق التابعة له، والتي كانت تستعمل لإيواء الطلبة.

ثانيا : الكتاتيب .

الكتّاب هو المرحلة التعليمية الأولى التي يمر بها الطفل، أو كما يسمى اليوم المدرسة الابتدائية. والكتّاب نوعان : بدوي وحضري .

فأما البدوي فيسمى الشريعة[19]، أي مكان تدريس الشريعة، وهو عبارة عن خيمة ممتازة، وسط الحي البدوي تخصص للتعليم. وأما الحضري فيسمى " مسيد " أو مكتب.

ويلتحق الأطفال بالكُتّاب عندما يبلغون سنّ السادسة، حيث يتعلّمون الكتابة والقراءة، وتُركّز برامج التدريس على تعليم مبادئ اللغة العربية، واستظهار كتاب الله، وتعليم بعض مبادئ الحساب، والتدريب على الزخرفة والخط[20].

كان كل كُتّاب عبارة عن خيمة تحوي ما بين 15 إلى 20 صبيا، وكان كل حي في المدينة يتولى تعيين معلم، يشترط فيه أن يكون مثقفا، وأن يكون رجلا خيّرا.

إذا نظرنا إلى المرونة النظامية للمؤسسات التعليمية، فإننا نلاحظ طواعية هذه المؤسسات للحاجيات الاجتماعية، فهي في غالب الأحيان مفتوحة الأبواب والحلقات للصغار والكبار،والأساتذة أحرار في تعيين موادهم وتوقيتهم ومنح إجازاتهم، ولكن هذا لا ينفي تحديد المستويات.

كما أنه لا يوجد تحديدات ضيقة تفصل بين طبقة المؤسسة نفسها، فمسجد الحي والجامع والمدرسة (المسيد)،لها صفاتها وميزاتها بالإضافة إلى صفاتها المشتركة والتكاملية فيما بينها،ولكل منها وظيفتها الاجتماعية والتاريخية التي لا يمكن أن نغفل عن معرفتها.

ثالثا : الرباطات والزوايا .

لقد كان الدافع الديني؛ هو سبب التواجد العثماني في الجزائر منذ البداية، فالخطر الصليبي الذي كان يتهدد السواحل المغاربية؛ هو المبرر الظاهري على الأقل للتدخل العثماني في المنطقة، هذا من جانب العثمانيين، أما بالنسبة لسكان المنطقة؛ فإن هذا الدافع هو وحده الذي أرغمهم على طلب المعونة العثمانية .

ولما كان أمر الدفاع عن السواحل الجزائرية موكولا بالدرجة الأولى إلى المرابطين، فقد نالوا الحظوة بدخول العثمانيين، ونشأت بينهم وبين السلطة الجديدة علاقة ود متبادلة بين الطرفين، نظرا لحاجة كل منهما للآخر، فقد كان المرابطون في حاجة إلى سلطة قوية، تدعمها قوة عسكرية قادرة على صد الخطر الصليبي المحدق بالمغرب الإسلامي قاطبة، واسترجاع ما ضاع من مدن ساحلية لصالح إسبانيا والبرتغال .

وفي الوقت نفسه؛ كان العثمانيون في حاجة إلى قوة محلية تدعم وجودهم، وتزكي بقاءهم، وتبرر بعض أخطائهم، ولم يكن أحسن من القوة الروحية التي يمثلها المرابطون.

"وشاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين، حتى عرف الناس أن هناك سياسة عامة متبعة، فكثرت الأضرحة والقباب، ودخلت الطرق الصوفية من المشرق ومن المغرب، وجاء الدعاة الحقيقيون والأدعياء المزيفون ينشرون أفكارهم وأورادهم بين الناس ، وأصبحنا لا نكاد نجد قرية أو مدينة تخلو من الزوايا والأضرحة والمشاهد، وعند كل بناية أناس يتبرّكون؛ يدعون ويزورون ويتقربون، يقيمون الحضرة ويقدّمون الهدايا، ويذبحون الذبائح، آتين من كل فج ... وأصبح الحكّام يظهرون كل الاحترام والتبجيل لأهل التصوف الحقيقي والكاذب معا، أما العامة؛ فلا تسأل عن أحوالها وعقائدها ومستواها الخلقي والاجتماعي " [21] .

ويذكر عبد الرحمان الجيلالي أن الترك لما أصبحوا "...سادة البلاد الجزائرية، اضطروا إلى اتخاذ سياسة صوفية، ومثلهم في ذلك دولة الأشراف في القسم الغربي

من الشمال الإفريقي، فإذا كانت المناطق الغربية في الشمال الإفريقي تحتوي خصوصا على زوايا شاذلية؛ فإنه في القسم الذي كان يسيطر عليه الأتراك؛ كانت السيادة فيه للزوايا القادرية، واعتمد الترك على جماعات هذه الطريقة القادرية، وكذلك سائر زعماء الطرق بصفة عامة، والصوفية المحليين بصفة خاصة، فأحاطوهم ... بالدعاية ومظاهر الاحترام، ورفعوا من شأنهم في نظر العامة، ولم يقصّروا في جزاء خدماتهم بسخاء، ولا في عقاب مظاهر المعاداة لهم بقسوة إلا ما ظهر منهم أيام ثورة درقاوة " [22].

وبلغت عناية الأتراك بهؤلاء المرابطين لدرجة تقديسهم، وتحبيس الأوقاف عليهم، ورفع الضرائب والمطالب المخزنية عنهم وعن عائلاتهم، بل وإن 'بوايي' الذي يذكر بعض الرعاية التي يوليها الأتراك للمرابطين، والمكانة التي أصبحت لهم في الحياة العامة، يقول أنه حتى أخطاؤهم تبرر تبريرا يحفظ لهم مكانتهم، كما حدث مع المرابط الذي اعتدى على بنت قنصل إحدى الدول الأوربية الشمالية، ولم يتجرأ أحد على منعه، كما أن الداي الذي تقدم أبوها بشكوى إليه لم يكن رده عليه سوى أن ما قام به المرابط وهو شرف له ولابنته [23] .

وسواء أصحّت هذه الرواية أم لا؛ فإنها دلالة على المكانة التي كان يحتلها المرابطون في نفوس العامة وكذا لدى السلطة .

ولما كان هذا وضع المرابطين؛ فإن كثيرا من الأدعياء دخلوا هذا المجال، فادعوا الولاية، وكثرت بدخولهم هذا الميدان الشعوذة والخرافات، وإدّعاء الكرامات والخوارق، حتى بلغ الوضع إلى درجة من الانحطاط الفكري والخلقي، وتجاوز لحدود

الشرع، ما دفع ببعض العلماء إلى مواجهة هذا التيار في مؤلفاتهم؛ كما هو الحال مع "عبد الكريم بن الفكون " في "منشور الهداية[24] و"الورتلاني" في رحلته.

ولقد علّق "الورتلاني" على ما لحق بالطرق الصوفية من انحرافات وتجاوزات أخلاقية، إلى حد جعله يصفهم باتّباع خطوات الشيطان والابتداع في الدين، خاصة ما أحدثوه من أمر الغناء والرقص، للتعبد في الحضرات التي يقيمها الشيوخ لمريديهم، وما يرافقها من جدب وفقدان للعقل فيقول: " وقد عمّت البلوى – والعياذ بالله – بانكباب أبناء الطوائف على السماع بالدفوف والمزامير وسائر الآلات والأشعار والألحان، واتّخذوا ذلك صراطا مستقيما، واتبعوا فيه شيطانا رجيما، ونبذوا السنة وراء ظهورهم ، وزالت هيئة الشريعة من صدورهم ، وكان لهم ذلك ديدنا في سائر الأزمان ، فصاروا مسخرة للشياطين..." [25].

ويذكر بعض الشيوخ الذين اشتهروا باتباع السنة وآثار الصلاح، غير أنه يذم اتباعهم لسماع الموسيقى واتخاذ ذلك عبادة، وإن كان لا يقدح في هؤلاء الشيوخ مباشرة، إلا أنه يشدّد النكير على من يقتدي بهم من المنتسبين إلى الطرق، وينصحهم باتباع السنة واجتناب مواقع الظّنّة، لأنه كغيره من علماء العصر يعتبرون أن من درج في التصوف، وأصبح من أهل الكشف – كما يسمّونهم – يسوغ له ما لا يؤذن لغيره .

يذكر هذا الشيخ حادثة وقعت لواحد من هؤلاء، وهو الشيخ سيدي محمد بن سالم الزليتني فيقول : " حجّ مع شيخنا الوالد – رضي الله عنه وأرضاه – بعض أهل زوايته، وكان يسمع بالدف على عادتهم، فبعث إليه الشيخ فقال له :

إن أردت مرافقتنا فاترك هذا السماع، وإلا فاعتزلنا، فاعتذر بأن ذلك من عادات أسلافه، فلم يقبل منه الشيخ ذلك، ولم يزل به حتى ترك السماع " [26].

وقول الورتلاني هذا؛ لا ينبغي أن يفهم منه أنه معاد للصوفية أو للمرابطين جميعهم، وإنما هدفه النكير على المغالين في الضلال، بما عاكس الصواب وخالف الشريعة بشكل فاحش، فقد أورد في رحلته الفصول الطوال عن زيارته لأضرحة بعض الأولياء والصالحين وذكر كراماتهم وأفضالهم .

إن الرباط في الأصل من بيوتات الاعتكاف والعبادة وتعليم الشريعة، والشيوخ والطلبة فيه منقطعون – لمدة يختارونها حسب طاقاتهم – للتعمق في معارفهم الدينية، ولممارسة تدريباتهم الروحية.

وقد عرفت الحركات المرابطية تطورا كبيرا وانتشارا شعبيا، في المراحل التي تغيب فيها السلطات الحاكمة، عن أداء دورها في حماية البلاد والدفاع عن الدين، وسرعان ما تحول هذا الانقطاع للتعبد والاستعداد لملاقاة العدو؛ إلى انقطاع للتعلم، خاصة عندما استطاع العثمانيون صد العدو وطرده عن جل السواحل، فلم يعد لهذه الحركات المرابطية مبرر وجود، فتحولت إلى مساندة هذه السلطات في محاربة العدو وإلى تعليم الطلبة أمور دينهم.

وقد انتشرت الزوايا في بداية العهد التركي في الريف، بالإضافة إلى الزوايا التي كانت قائمة في المدن، والتي استحدثت بها خلال هذا العهد، لكن زوايا المدن لم تكن لها أهمية زوايا الريف ، فقد استطاعت – على حداثة إنشائها – أن

تنافس زوايا عريقة ، كزاوية سيدي " عبد الرحمان الثعالبي" بالعاصمة، وكذلك زوايا مماثلة في مدن: تلمسان، وهران، بجاية وقسنطينة[27] .

وقد سهلت الزوايا المرابطية وساعدت على انتشار التعليم، لأن المباني كانت جاهزة، فلم تتطلب حركة التعليم في الريف كبير وقت أو عناء لانطلاقها، ولذلك ازدهرت حركة التعليم في الريف بسرعة فائقة، مما جلب حتى طلاب المدن إلى الدراسة فيها.

وقد أورد كثير من العلماء في مؤلفاتهم، ارتحالهم من مدنهم إلى الزوايا الشهيرة بالريف طلبا للعلم، كما هو الأمر بالنسبة إلى الشيخ "سعيد قروة " العالم المشهور ــ وهو من أبناء الجزائرــ، فقد تتلمذ في زاوية محمد بن علي أبهلول المجاجي في "مجاجة "، وقد صرح هو بذلك قائلا :"سافرت لطلب العلم ، فقصدت زاوية الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن علي وأخيه ابن علي أبهلول المجاجي ــ نفعنا الله به آمين ــ .

وكان الشيخ محمد بن على شديد الاعتناء بالتدريس، والعلوم وفنونها كالتفسير، والحديث، والأصول والبيان والمنطق واللغة، وعلم النجوم والطب وغيره، وقد جمع علم الشريعة وعلم الحقيقة، ولا نظير له في عصره، وكان يشد له الرحال لقراءة الصحاح عليه من بلاد مصر وتونس وغيرها"[28] .

وكان من مزايا الزوايا، حدوث توازن في التعليم بين المدينة والريف، واتساع قاعدة التعليم، ولكن من المهم جدا أن نذكر الفرق بين الرباط والزوايا ، وبين الأنظمة الطرقية ورباط الجهد. فتعدد مهام كل مؤسسة بين العبادة والعلم كثيرا ما

أدى إلى بعض الغموض في تحديد المهام والأهداف. فإذا كان الرباط غير خاضع لطريقة بعينها، مع تفتحه في كثير من الأحوال على التعاليم الصوفية والمجاهدات الروحية؛ فإن الزوايا تعدّ قبل كل شيء مؤسسات مبنية على نشر الدعوة الطرقية، فهي صوفية قبل كل شيء، ولكنها تجمع في تعليمها بين تحفيظ القرآن والفقه والعقيدة والتربية الروحية والتهيئة للجهاد[29] .

ويجب الإشارة للطابع الشعبي لثقافة الزوايا، مما جعلها تسد الفراغ الذي عانت منه البلاد من نقص في الاهتمام بالتعليم .

ويرى عبد المجيد مزيان :"أن إشعاع بعض المؤسسات القروية؛ مرده إلى ظاهرة الانفجار الطرقي، الذي بدا للوجود في مؤخرة القرن الخامس عشر آخذا شكله الشمولي الشعبي، وقد اقتصر نشاط بعض الزوايا على تعليم العقيدة، وتجنيد الشعب للجهاد. ومن الجدير أن نذكر أن الدين الإسلامي؛ جاء لإلحاق الأميين بالمتعلمين، والبدو بالحضر، والشفهي بالكتابي، ورسالته جاءت تحارب كتمان المعارف"[30] .

ومن أشهر زوايا تلك الحقبة :"زاوية الراشدية"، والزاوية "القادرية" في غرب الجزائر، وزاوية "قرومة" في بلاد القبائل الكبرى، ثم زاوية "بن علي الشريف" في منظقة بجاية، وزاوية "عين ماضي"، وزاوية "طولقة" في الصحراء.

وقد تحدث الجغرافي "شاو"عن بعض الزوايا فقال:"إن زاوية جماعة الصهريج ببلاد القبائل ،يدرس بها خمسمائة من الطلاب، وتتولى الإنفاق عليهم، كما أن زاوية "نقاوس" تنفق على مائتي طالب".[31]

المساجد والمدارس:

قامت المساجد – إلى جانب وظيفتها الدينية بإقامة الصلاة، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد – بجمع حلقات الدروس العمومية المخصصة للجماهير بكل طبقاتها، فالمسجد بحكم وظيفته الأساسية، يتعامل مع شريحة أوسع، ولذلك فإن تأثيره العلمي أوسع، ورغم انتشار مؤسسات علمية مختلفة؛ إلا أنها لم تستطع منافسة المسجد، أو التقليل من أهميته، بل أدت هذه المنافسة الشريفة، إلى تطور دوره ونفع المتعلمين، فعلى غرار ما كان واقعا في كثير من مدن العالم الإسلامي، قام في الجزائر جوامع أدّت الدورين العبادي والتعليمي، كالجامع الأعظم بالعاصمة، والجامع الأعظم بتلمسان ، وجامع بجاية وجامع قسنطينة.[32]

وقد اهتم العثمانيون في الجزائر ــكأفرادــ ببناء المساجد وتحبيس الأوقاف عليها، ولم يهتموا بشيء آخر من حيث العمران كاهتمامهم بها، وأمّنوا الموارد لصيانتها، والإنفاق على إقامة الشعائر الدينية فيها.

وقد قدّر "هايدو" الإسباني عدد المساجد في مدينة الجزائر سنة 1581 م بمائة مسجد، بينما لم يكن عددها تجاوز اثنين قبل دخول الأتراك، ويعني هذا أنهم شيّدوا هذا العدد الهائل من المساجد في خلال ثلثي قرن فقط، وفي العاصمة وحدها بنى الأتراك أكثر من23 مسجدا جامعا، وما يقارب 109 مسجدا صغيرا، لعدد من السكان لا يتجاوز 30 ألف نسمة إلا بقليل.

وقد تأسست في الجزائر خلال العهد السابق على العثمانيين مدارس من هذا الطراز، حظيت بشهرة كبيرة، وقد أشار إلى بعضها الرحالة المغربي "الحسن

الوزان"، فذكر أن بتلمسان خمسة مدارس حسنة التصميم، مزدانة بزخارف الفسيفساء، وقد شاهد في بجاية عددا من المدارس، كما شاهد في قسنطينة مدرستين.

وقد عرّف "أبو راس الناصري" المدرسة بقوله:"المدرسة المتعارف عليها عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم، أي لتعليمه وتعلّمه" [33]

وفي قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، أسّس "صالح باي"سنة :1779م مدرسة سيدي الأخضر الملاصقة للمسجد المسمى بهذا الاسم، كما شيّد مدرسة سيدي الكتاني سنة :1776م لتعليم مختلف الفنون، وجعل لمدرسة سيدي الكتاني نظاما خاصا محكما، وما تزال هذه المدرسة قائمة إلى وقتنا الحاضر.كما شيّد مدارس أخرى في عنابة والقل وجيجل، وكان يلحق بالمدرسة جامعا وكُتّابا ودارا للكتب[34].

ومن أهم المدارس التي يجب ذكرها المدرسة التاشفينية، ومدرسة العباد المعروفة عند المؤرخين برباط العباد واليعقوبية، ومدرسة مازونة، وهي نموذج مصغر لمدارس تلمسان.

وقد اهتم الباي محمد بن عثمان في الغرب الجزائري؛ بتشييد دور العلم من مساجد ومدارس، بنى مدرسة في مدينة معسكر، ومدرسة بوهران ، وثالثة بمازونة.

ومن أشهرها المدرسة المحمدية بمدينة معسكر، التي أشار إليها المؤرخ أبو راس الناصري في حديثه عن المدارس ، وامتدحه أحمد المقري القرومي لأجلها في قصيدة منها قوله:

"وترى المدرس قدعلا كرسيه يلقي على العلماء حب الجوهر
تحويه مدرسة غدت آثارها تحييه بالعلم الشريف الأشعري
مبنى الأمير محمد في الغرب قد لاحت رسومه كالصباح المسفر"[35] .

وتتعدد أهداف المدرسة كما تتعدد مواردها، فهي تارة تزود الدولة بما تحتاج إليه من قضاة ومفتشين وغيرهم من الموظفين، كما أن رجال الشريعة والتوحيد كانوا أساتذة موظفين، يدافعون بأقلامهم ودروسهم عن العقيدة الرسمية في المدارس وفي حلقات الدروس، وتارة أخرى كانت هناك أحوال مغايرة تماما، فالمدارس كانت تنتج أناسا يرفضون ممارسات بعض أهل السياسة وأسرهم المتلاعبة بالقيم والأخلاق.

أما النظام الداخلي للمدارس؛ فكان يتم بقبول طلبة قاطنين بالمؤسسة، وهم من الغرباء عن المدينة، تجرى عليهم منحة يتقاضونها موادا غذائية، ويلازمون الدروس إما متخصصين في علم واحد، أو مشاركين في عدة علوم، ويكوّنون مع الطلبة المداومين من أهل المدينة طائفة الطلبة الرسميين؛ إلا أن حلقات الدروس مفتوحة مع هذا لكل من يريد أن يكتسب معارف دون قصد الإجازة للتدريس أو التوظيف[36] .

ويمكن للأستاذ أن يجيز تلميذه، أو يرخص له إذا رأى أنه يستحق منه لقب الأستاذية، وكان ذا كفاءة عالية، مع ذكر ما أخذ منه من العلوم لتثبيت إجازته. وكان بعض الطلبة يجاز في سنتين، وبعضهم ينتظر عدة سنوات، وللأستاذ أن يعمل بأخلاقيات مهنته في تقييم مستوى طلبته .

وكانت المدارس تتنوع، فهناك من تضم مئات الطلبة وعشرات الأساتذة، مثل ما كان الشأن للمدرسة التاشفينية،وأخرى يشرف عليها عالم واحد يستعين بكبار الطلبة،وقد لا تقل هذه المدارس إشعاعا عن غيرها، إذا كان صاحبها من المشاركين في عدة علوم .

كان الطلبة يحيطون أساتذتهم بهالة من الإجلال والإكبار، تقديرا لعلمهم واعترافا لما لهم عليهم من دين بما يبذلوه من أجلهم من جهود جليلة.

والمتصفح لكتب التراجم، ومذكرات العلماء وما كتبوه عن مشايخهم؛ يلمس مدى الحب الذي كانت تنبض به قلوب الطلاّب نحو أساتذتهم، ومنه ما قاله الشيخ محمد بن علي السنوسي في معرض حديثه عن أساتذته، الذين تتلمذ على يدهم :"ومنهم شيخنا وشيخ مشائخنا الهمام الحافظ الإمام سيدي محمد ابو راس المعسكري البلد، الناصري المحتد ــ رحمه الله ــ كنت أتردد إليه كثيرا، وأستفيد منه استفادة عظيمة، لتمام حفظه وإتقانه لكل فن، حافظا لمذاهب الأئمة الأربعة، جواب كل ما سئل عنه بين شفتيه، وغالب من أخذنا عنه من أهل ناحيته أخذ عنه"[37]

أما الطبقة الميسورة؛ فكانت تمجد العلماء، وترفع من منزلتهم وشأنهم، وتقلد أنماط سلوكاتهم، وكل مواطن يجد من الشرف أن يستقبل واحدا من العلماء في بيته، حتى معلم القرية، ومؤدب القبيلة، كان لهما شأن عظيم في حياة الناس، لا يقل أبدا عن شأن العالم في محيط الزاوية أو المدينة، إن لم يزد عليه.

ونقطة أخرى سبق الحديث عنها من قبل؛ إلا أنه من الضروري العودة إلى الخوض فيها من جديد، وهي الفرق بين المؤسسات التعليمية خلال تلك الحقبة، من خلال الدور الذي تؤديه كل واحدة منها، والمناهج التي تخضع إليها، والمستويات التي تصل إليها، وهذا بسبب تداخل المهام والمناهج وعدم وجود برامج محددة.

لقد حدّد العيد مسعود ، في دراسته عن التعليم في العهد العثماني، جملة من هذه الفروق فقال : " أول هذه الفروق أن الزاوية امتداد للرباط وبديل له، انتشرت في الجبال والسهوب والواحات، من أجل التفرغ للعبادة والعمل الخيري، كإطعام المساكين وابن السبيل، ثم أصبحت لتعليم كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، ثم اهتمّت بغير ذلك من العلوم، أما المدرسة فهي مؤسسة علمية أنشئت أساسا في المدن، ومنه انتقلت إلى باقي أنحاء البلاد كالريف، لكن التركيز بقي على المدينة.

- الزاوية مؤسسة حرة فيما تقدمه لطلابها، بينما تصطبغ المدرسة بشكل أو بآخر بالصبغة الحكومية، فالزاوية تقوم على أساس ما يسمى بالتعليم الحر، أما المدرسة فتلزم بالاتجاه السياسي للحكومة.
- الزاوية تعتمد في مواردها على الأوقاف، التي حبسها عليها أهل الخير، وعلى الصدقات التي تجمع من الأتباع والمريدين، سواء كانت الزوايا

مرابطية أو طرقية، أما المدرسة فتعتمد في مواردها على الأوقاف، التي حبسها عليها الحكام ، وتديرها الحكومة بشكل مباشر أو غير مباشر.

- الزاوية تقوم بمهام متعددة اجتماعية اقتصادية، سياسية وعلمية إلى جانب التعليم أما المدرسة فموجهة للتعليم فقط"[38].

وضعية المدارس والزوايا والكتاتيب:

كانت مدينة الجزائر في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، تضم (100) كُتّاب (مدرسة ابتدائية)، وكان علماؤها يعيشون في يسر مادي، ويتمتّعون باحترام الناس أما منطقتها، فقد كانت تنتشر فيها 299 مدرسة، يتلقى التعليم فيها حوالي 5583 طالبا .

أما البليدة فيوجد بها 24 زاوية ، وفي بلاد القبائل ثلاث مراكز علمية شهيرة، أما في الشرق الجزائري؛ فقد كان في مدينة قسنطينة عندما دخلها الفرنسيون سنة 1837م خمسة وثلاثين مسجدا، وسبعة مدارس، تضم حوالي 700 تلميذ يدرسهم أساتذة ذوو شهرة. أما بضواحيها فقد كانت هناك عشرات المؤسسات العلمية الجادة .

كما انتشرت مجموعة من الزوايا، يديرها مرابطون ذوو نفوذ؛ أشهرها زاوية مولاي طرفة، وزاوية ابن علي الشريف. أما بالصحراء الجزائرية؛ فكان ببسكرة 56 زاوية، يؤمّها مئات من التلاميذ، زيادة على معاهد بسكرة وسيدي عقبة وطولقة، والتي كانت على جانب من الأهمية.

أمّا بالغرب الجزائري؛ فقد كانت مدينة تلمسان منارة علمية قبل مجيء العثمانيين، وإذا ذهب عن المدينة بهاؤها السياسي؛ كونها لم تعد العاصمة، فإن مكانتها العلمية لم تتغير، وقد ذكر "الزيّاني" بعضا من أحوالها في رحلته[39] .

ومجمل القول؛ أنه وبالرغم من وجود منظومة تعليمية لا بأس بها، غير أن حالها كان من التردي، بحيث كانت بعيدة عن الاهتمام بمشاكل العصر والبحث عن حلول لها، وأبلغ تعبير كما يقول جمال قنان هو: "ما كتبه ابن سحنون الراشدي عن الثورة الفرنسية، والذي يستخلص منه، أن ما يجري في هاته البلاد هو من قبيل العجائب، لا شأن لنا به، وبعيد كل البعد أن يؤثر فينا"[40] .

من خلال ما تقدم؛ يبدو جليا أن عادات الجزائريين، لم يكن فيها ما يخالف الطبع الإنساني، بل إنّها كانت في كثير من جزيئاتها تتعدى سلوكيات أكثر الأمم تحضرا، وهذا باعتراف الأعداء قبل الأبناء.

أمّا جملة الآفات التي كانت تطبع هذه العادات، سواء تلك التي كانت دائمة، أو تلك العارضة؛ فإنها كانت آفات عامة لم تسلم منها دولة من الدول آنذاك.

غير أن وجود الجزائر في مقدمة خط المواجهة، في الصراع الحضاري الدائر بين العالمين الإسلامي الشرقي والمسيحي الغربي؛ جعل عيون الملاحظين مركزة على دقائق الآفات في هذا البلد.

كما أن كتابة تاريخ الجزائر العثماني بشكل عام، وعهد الدايات منه بشكل خاص؛ لم تعرف الرواج إلا بعد سقوط حكومة الدايات، ووقوع الجزائر في عهد سابقيهم، وتبرير الوجود الاستعماري، وممارساته الفضيعة تجاه الأهالي.

إنّ هذه المدرسة الاستعمارية؛ دفعت مؤرخيها إلى تصوير الشعب الجزائري وحكومته العثمانية كقطيع من الوحوش، أو عصابة من قطّاع الطرق، ساقتهم الظروف إلى الوقوف في وجه الحضارة الغربية، ومن سوء قدر هذا المجتمع؛ أن مؤرخيه أهملوا الكتابة حول هذه الجوانب، وقصروا تواريخهم على ذكر بعض الأحداث السياسية، ومآثر الحكّام الذين عاصروهم.

كما أن تجاوزت الدايات في أيامهم الأخيرة – والتي دفعتهم إليها جملة من العوامل والظروف الدولية والمحلية – أكّدت مزاعم هذه المدرسة، وجعلت مواجهة آرائها تتطلب بحثا طويلا وتنقيبا مضنيا على الأدلة من بين كتب المؤرخين المعاصرين.

الهوامش :

1. عبد المجيد مزيان ، الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل عهد الاستعمار ، مجلة الثقافة ، عدد : 90 ، نوفمبر/ ديسمبر 1985م ، ص : 36.
2. الورثلاني ، الرحلة ، ص :549 .
3. T Shaw ,Voyage dans la regence d'Alger ,ed :Marlin ,Paris,1830 , p : 77 .
4. Jean Leon L'Africain, Discription de l'Afrique ,trd par A.Epaulard,(Paris: librairie d'amerique et d'orient ,1981), pp : 348 – 349.
5. العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، ماي ،1980م، ص :60 .
6. الورثلاني ، مصدر سابق ، ص : 678 .
7. مختار بن الطاهر فيلالي ، رحلة الورتلاني عرض ودراسة،دار الشهاب، باتنة، بدون ت ، ص :169 .
8. الورثلاني ، مصدر سابق ، ص :286.
9. المجسمة فرقة من الفرق الاسلامية ، من رؤوسها "هشام بن الحكم " القائل : " إن الله جسم محدود ، عريض، عميق ، طويل طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه..." .
ينظر : أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1990،ج : 1 ، ص :281 .
10. الورثلاني ، مصدر سابق ، ص ص :697_698 .
11. ابن ميمون ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تح : محمد بن عبد الكريم،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ،ص : 146.
12. نفس المصدر، ص : 235.
13. أبو راس الناصري ،فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: محمد بن عبد الكريم ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1990 ،ص : 179.

14. أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر... ، مرجع سابق ،ج : 2 ، ص ص : 20_21 .
15. ابن حمادوش ، الرحلة ،تح: أبو القاسم سعد الله، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983 ، ص :37.
16. ابراهيم بن زكريا الأندلسي، كتاب العز والمتافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالعاصمة تحت رقم : 1511و1512 .
17. هناك رسالة بتاريخ 9 فيفري 1910م، إلى الحاكم المتصرف بأرنو (س.م بن علي حاليا) جاء فيها فيها:" فإن ذلك بالجد الأول الذي شرع في التدريس الشيخ السيد أمحمد أوله المعروف بابن الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز (م.خ.م)....وضريحه موجود بالغرفة رقم:3.
18. ينظر: بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسقوط،رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم الاجتماع، جامعة ووهران، السنة الجامعية: (2002-2003م)، ص:29.
19. نفس المرجع، ص:29.
20. ما زال سكان البوادي بالغرب الجزائري يستعملون هذه التسمية ، ونظرا لأن هذه الكتاتيب غالبا ما يدفن بالقرب منها شيوخ القبيلة ؛ تحول هذا المصطلح ليعني المقبرة .
P Boyer , La vie quotidienne a Alger … , p : 201.
21. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981)،ج : 1 ، ص : 472 .
22. عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1994، ج:3، ص : 255.
23. p Boyer, op cit , p: 80.
24. ذكر ابن الفكون في كتابه هذا – وخاصة في الفصل الثالث منه – أن كثيرا ممن تشهد لهم العامة بالصلاح والكرامات، بل ويقدّسهم حتى بعض الخاصة، إنما هم دخلاء على هذا

الفن فلا صلة لهم بالتصوف ولا بالزعامة الدينية، ويقدح حتى في علمهم وصلاحهم، ويعتبر تأليفه بدعا من التآليف في زمانه .

أنظر تفصيل ذلك في الدراسة التي أجراها له المهدي البوعبدلي ، "عبد الكريم بن الفقون القسنطيني (988–1073)، والتعريف بتأليفه منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"،الأصالة ، عدد51، ذو القعدة 1397هـ /نوفمبر 1977م، ص ص : 14–32 .

25. الورتلاني ، مصدر سابق، ص ص :187–188.
26. الورتلاني ، مصدر سابق ، ص :187.
27. العيد مسعود ، مرجع سابق ، ص : 63 .
28. نفس المرجع ، ص : 61.
29. عبد المجيد مزيان ، مرجع سابق ، ص : 44.
30. نفس المرجع ، ص : 38 .
31. shaw, op cit , p : 142.
32. العيد مسعود ، مرجع سابق ، ص : 64.
33. أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، مخطوط غير مرقم بمخبر مخطوطات شمال إفريقيا بجامعة وهران، ورقة : 79.
34. العيد مسعود ، مرجع سابق ، ص : 65.
35. ابن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تح: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث ، قسنطينة، 1973، ص : 131.
36. عبد المجيد مزيان ، مرجع سابق ، ص :41 .
37. ابن سحنون ، مرجع سابق ، ص : 66 .
38. العيد مسعود ، مرجع سابق ، ص : 68.
39. مولاي بلحميسي ، مرجع سابق ، ص : 160.
40. جمال قنان ، " أوضاع الجزائر عشية الغزو الفرنسي " ، مجلة الذاكرة ، عدد : 6 ، نوفمبر 2000 م ، ص : 25.